بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 08 يونيو 2016

مستويات حضور الإشاعة في السيرة النبوية

ساسي بن محمّد الضيفاوي
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016
All rights reserved © 2016

الملخص:

لقد بات واضحًا أنّ الإشاعة ظاهرة عالمية، بل هي من أخطر الآليات المعنوية والنفسية والسياسية والدينية، وأشدّ الأسلحة التقنية والاستراتيجية تدميرًا وتأثيرًا في الفرد والمجموعة والدول، ولعلّ هذا من بين الأسباب التي جعلتنا نتناول هذا الموضوع بالدرس وسبر أغواره.

أمّا المنهج الذي نتوخّى فينهض على استقراء بعض النصوص المؤسسة والحواف، خاصة الموصولة بالسيرة النبوية باعتبارها تحمل أمثلة حيّة لتأريخ الإشاعة والموقف منها، على غرار ما انتشر من إشاعات مفادها أنّ كفّار قريش قد أسلموا بُعيد الهجرة الأولى للحبشة، وكذا الأمر ما وقع في معركة أحد، إذ أشاع الكفّار أنّ محمّدًا قُتل، وقس على ذلك اختلاق أحداث قصّة الإفك وتداعياتها، يضاف إلى ذلك ما روّجه المشركون والكفّار والمنافقون إثر وفاة النبيّ وما سعى شاس بن قيس إلى ترويجه من إشاعات، وغيرها من النماذج التي لا تمتّ بصلة إلى الحقيقة والواقع، الهدف منها بثّ الخوف وزعزعة وحدة الصفّ وخلخلة المواقف وتهميش المسار وتفتيت الألفة وتشويهها وخلق حالة من الإرباك والشكّ والفزع والهلع.

وترتيبًا على ذلك يمكن أن نستنطق هذه النماذج من الإشاعات وغيرها في السنّة النبوية، ونستشفّ أبعادها ومخاطرها، ثمّ نبيّن المنهج الذي توخّاه محمّد بغية مقاومتها، ونختم برصد الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها ونوظّفها في لحظتنا التاريخية. إنّ هذه المقدّمات المنهجية التي احتوى عليها عملنا هي التي نروم أن نتناولها بالدرس تباعًا.

1- نماذج من الإشاعات في السيرة النبوية

يقتضي المنهج العلمي أن لا نلج دراسة ما حتى نتمثّل أهمّ المفاهيم وشبكة الدوال الموصولة بها، لذا ارتأينا أن يفتتح بحثنا بتتبّع مفهوم الإشاعة، وقدّرنا أنّ العلاقة بين الدال اللغوي والمدلول الاصطلاحي لهذا المفهوم لا تخلو من تواصل ثقافي واجتماعي وتقاطعات مفهومية، وهو ما يفضي بنا إلى صعوبة العثور على تعريف جامع مانع للإشاعة نظرًا إلى تشعّبها وتلبسها بالنفسيّ والاجتماعي والسياسي والظاهر والضامر.

وتُعرّف الشائعة أو الإشاعة في اللغة بأنّها من شاع الخبر في النّاس يشيع شيعًا بالفتح، وشيوعًا بالضمّ، ومشاعًا بالفتح، وشيعوعة وشيعانًا فهو شائع، أي انتشر وساد وذاع وظهر وتفرّق، وأشاع الرجل الخبر أذاعه في النّاس معناه: «**قد اتّصل بكلّ أحد فاستوى علم النّاس به، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض**»[1]. وإذا فصّلنا القول فإنّنا نقول إذا كانت الشائعة مستمدّة من فعل ثلاثي مجرّد شاع، فإنّ الإشاعة من الفعل المزيد أشاع، وهو فعل على وزن أفعل يحيل على نقل الحدث وحمله بواسطة أساليب مختلفة، على غرار الكلمة والصورة والشكل والفعل والرواية والمشافهة.

ولم تكن هذه الدوال المتداولة في مناجد اللغة وقواميسها إلاّ مقدّمات نروم أن نبني عليها بحثنا، خاصّة إذا نحن قلّبنا النظر في النصّ القرآني، وأضفنا ما ورد فيه من مضامين فإنّها تسهم في هذا الإغناء البحثي وفق مختلف السياقات والمقامات التي تناولت مفهوم الإشاعة، على غرار ما ورد في سورة الحجر والقصص والصافات والقمر، ولئن كانت تحيل هذه الدوال على الإشاعة فإنّها تتلوّن بأشكال وإحالات مختلفة موصولة بقصص وأحداث وأسباب نزول ومقاصد وأغراض ودوال لغوية تباينت من معنى إلى آخر فقوله تعالى: «**في شيع**»[2]، إنّ الجار في هذا المركّب متعلّق بنعت للمفعول المقدّر، أي أرسلنا رسلاً في شيع، والمراد في مدن وقرى منتشرة، وهو ما يحيل على الانتشار والتقوية، أمّا قوله «**شيعًا**»[3] فمفاده أنّ الناس أصناف وفرق مختلفة من حيث الطباع واللسان، بينما نقف في السورة ذاتها على قوله «**شيعته**»[4] أي النصير والعون، وهو المعنى ذاته تقريبًا الذي نجده في سورة الصافات[5]، وقد نتلمّس هذا المعنى في قوله «**أشياعكم**»[6] الذي يحيل في سياق آخر على الشبيه والنظير.

1- ابن منظور (جمال الدّين أبو الفضل) لسان العرب، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، [د.ت]، المجلّد الرابع، ج 24، ص ص 2377-2378، وانظر كذلك، ابن فارس (أبو الحسن أحمد) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون وضبطه، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1979، ج 3، ص 235

2- الحجر، 10/15

3- القصص، 4/28

4- القصص، 15/28

5- الصافات، 83/37

6- القمر، 51/54

وبناءً على ما سبق تحليله لهذه المفاهيم المتداخلة الموصولة بالإشاعة نفهم أنّها متشابهة حينًا، ومتباينة أحيانًا، ومتكاملة حينًا آخر، وقد وردت في سياقات معرفية ودينية متصلة ومنفصلة، بيد أنّها لا تجانب في عمومها على أيّ حال ما ذكره بعض الباحثين من أنّ الإشاعة هي «**الأحاديث والأقوال والأخبار والروايات التي يتناقلها الناس دون تأكّد من صحّتها، وقد يضيفون إليها بعض التفصيلات الجديدة وقد يتحمّسون لما يرونه ويدافعون عنه، بحيث لا يدعون السامع يتشكك في صدق ما يقولون**»[7].

هذا ما انتهى إليه أحد الباحثين العرب، أمّا من الأجانب فيذهب ألبورت (Allport) وبوستمان (Postman) إلى أنّ الإشاعة هي «**افتراض يرتبط بالأحداث اليومية بغية أن يصبح موضع تصديق العامّة، بحيث يتمّ ترويجه من شخص إلى آخر مشافهة في أبعاده، ومن دون أن تكون هناك بيانات محددة لإثبات صحّته**»[8].

والذي يمكن أن نستخلصه من الحدّ اللغوي والبعد المفهومي أنّ الإشاعة قديمة قدم الإنسان، عادة ما يلازمها شيء من اللبس والغموض وأسباب التخمين حتّى تجد رواجًا وانتشارًا في الناس، ناهيك أنّها ليست دومًا باطلة وفاسدة وكاذبة وخبرًا موضوعًا، مثلما أنّها ليست بالضرورة إحالة على الصحّة واليقين، فالإشاعة خبر يحتمل الأمرين الاثنين معًا، ودور المتلقي يكمن في التحري والبحث فيما يسمع أو يقرأ أو يتابع حتى لا يقبل الخبر على عواهنه.

إنّ البحث في تاريخية الإشاعة أفضى إلى أنّها ليست لصيقة بسيرة محمّد فقط، بل هي أقدم من ذلك بكثير، فهذا إبليس يشيع خبرًا حول الشجرة التي نهى الله آدم عن الأكل منها «**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى**»[9]، وهي إشاعة كاذبة مفادها أنّ الأكل من الشجرة يجعل الإنسان مخلّدًا لا يدركه الموت أبدًا، وقد انطلت الإشاعة على آدم وصدّق فحواها ووقع تحت تأثيرها وحصل ما حصل من تداعيات[10]، وهذا المسيح تُشكّك الإشاعات المغرضة فيه وفي أمّه «**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**»[11]، ولم ينج يوسف من هذه الإشاعات التي تمسّ العرض وتخدش الشرف «**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**»[12]، وكذا الأمر بالنسبة إلى عديد الأنبياء

7- زهران (حامد عبد السلام) علم النفس الاجتماعي، ط6، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2003، ص 498

8- Allport.G.W, Postman.L, An analysis of Rumor, public opinion quarterly, traduit de l'anglais par Jean-Noël Kapferer, 1946-1947, P: 501.

« La Rumeur est une proposition liée aux évènements du jour, destinée à être crue colportée de personne en personne, d'habitude par la bouche-à-oreille, sans qu'il existe de données concrètes permettant de témoigner de son exactitude ».

9- طه، 120/20

10- انظر، طنطاوي (محمّد سيّد) الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2001، ص ص 9 إلى 13

11- مريم، 28/19

12- يوسف، 24/12

والرسل على غرار نوح وصالح وشعيب وهود الذي يُشاع عنه الطيش والخفّة مثلما جاء ذلك في سورة الأعراف «**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ**»[13].

والظاهر من خلال هذه المؤشرات التاريخية التي تحيل على الإشاعة أنّها تُصنع في محيط معيّن وفي أوساط اجتماعية مختلفة وفي سياقات ثقافية وحضارية وسياسية مغايرة، فكلّ إشاعة تستمدّ مضامينها ومرتكزاتها من محيطها المباشر، أو من المجموعة البشرية أو القبيلة التي ينتمي إليها المشيع[14]، وهو ما نرصده تقريبًا في السيرة النبوية وما حفّ بها من أحداث واختلاق أخبار، وسنرى في تضاعيف هذه الأمثلة عددًا لا يحصى من الشواهد التي تثبت وجود الإشاعة على غرار:

أوّلاً، الهجرة الأولى إلى الحبشة

انتشرت إشاعة روّجها كفّار قريش تتمثّل في أنّ أهل مكّة قد أسلموا وأطاعوا الرّسول، وأنّ الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة سعيد بن العاص قد سجدا خلف النبيّ «**فقال القوم: فمن بقي بمكّة إذا أسلم هؤلاء**»[15]، فمسقط رأسنا أعزّ علينا وأحبّ إلى قلوبنا فخرجوا من الحبشة راجعين إلى مكّة، وقبل دخولهم علموا أنّ الخبر إشاعة واختلاق، وأنّ قريشًا ما تزال على عداوتها لمحمّد والإسلام وأتباعه، فدخل منهم من دخل وعاد من عاد، فأمّا الذين دخلوا فتلقّى بعضهم عذاب القرشيين[16].

ثانيًا، إشاعة مقتل عثمان بن عفّان في بيعة الرضوان[17]

أراد محمّد أن يُرسل إلى قريش مبعوثًا يؤكّد لها هدفه من هذا السفر، وأنّه جاء مسالمًا معتمرًا ولم يأت محاربًا مقاتلاً، فبعث عثمان بن عفّان فذهب إلى قريش وتحدّث مع أهلها، فلمّا فرغ عرضوا عليه أن يطوف بالبيت، لكنّه رفض هذا العرض، وأبى أن يطوف حتّى يطوف محمّد، واحتبسته قريش عندها، وأشاعت خبر موته بغية إرباك الرسول وأتباعه، ولمّا بلغ رسول الله أنّ عثمان بن عفّان زوج ابنته ومبعوثه إلى قريش قد

13- الأعراف، 66/7، وانظر كذلك الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ص.ص 14 إلى 67

14- Pour en savoir plus, voir: Paul Watzlawick, la réalité de la réalité, confusion, désinformation, communication, traduit de l'anglais par Edgar Roskis, Ed. Du Seuil, Paris, 1978, P: 21.

« Chacun puise dans son environnement immédiat, dans son propre groupe ou clan ».

15- النويري (شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ج 16، ص 165

16- انظر، نفسه، ج 16، ص 165 وما بعدها.

17- انظر، الفتح، 18/48، «**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**».

قُتل حتى أجمع بمعية أصحابه على حرب المشركين وقال «**لا نبرح حتّى ننـاجز القوم**»[18] وأنّهم لكذلك إذ بلغهم أنّ عثمان لم يُقتل، وأنّ ما ذُكر من أمر قتله لا يعدو أن يكون إشاعة[19].

ثالثًا، إشاعة مقتل محمّد

انتشرت في شهر شوّال من السنة الثالثة للهجرة خلال غزوة أحد إشاعتان، أمّا الأولى فتتمثّل فيما أقبل عليه المحاربون المسلمون من تراجع حيث سرت بينهم إشاعة مفادها أن قال بعضهم لبعض هيّا بنا لننزل إلى أرض المعركة لنشارك غيرنا في جمع الغنائم، وحاول أميرهم عبد الله بن جبير أن يمنعهم من ترك أماكنهم، إلاّ أنّهم أبوا ذلك، ونزلوا ساحة المعركة ليشاركوا في جمع الغنائم، وأدرك خالد بن الوليد -- وكان مازال مشركًا- أنّ ظهور المسلمين قد انكشفت بعد أن كانت محميّة بهؤلاء الرّماة، فاقتنص الفرصة وهاجم المسلمين فاضطربت صفوفهم[20]. أمّا الإشاعة الثانية فقد أشيع خلال اضطراب صفوف المسلمين أنّ محمّدًا قد قُتِل وأنّ الذي قتله هو «ابن قميئة» فإنّ هذا الرجل بعد أن قتل «مصعب بن عمير» حامل لواء المسلمين في غزوة أحد أخذ يصيح بأعلى صوته: قتلت محمّدًا، قتلت محمّدًا، هذه إشاعة أفضت إلى الإرباك والاضطراب في صفوف المقاتلين، فتوقّف من توقّف منهم عن القتال وألقى سلاحه، ومرّ بهؤلاء أسّ بن النضر، وقد ألقوا بأيديهم وقال: «**ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله، قال: ما تصنعون بالحياة بعده، فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله**»[21].

رابعًا، حادثة الإفك

حدثت هذه الحادثة يوم رجوع محمّد من غزوة بني المصطلق وقد كانت رفيقته عائشة «**حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثمّ أذن في الناس بالرحيل**»[22]، قالت عائشة: فلمّا ارتحل الناس «**خرجتُ لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار**[23]، **فلمّا فرغت انسلّ من عنقي ولا أدري، فلمّا رجعتُ إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده**»[24]، وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد فرغوا من رحله، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنّي فيه كما كنت أصنع، قالت عائشة: وكان الصفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فأقبل حتى وقف عليّ فعرفني، ثمّ قرّب البعير واستأخر

18- ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك) سيرة النبيّ، تحقيق مجدي فتحي السيّد وفتحي أنور الدابولي، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1995، ج 3، ص 317

19- انظر، نفسه، ج 3، ص 318

20- انظر، الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ص ص 177-178، وانظر كذلك، آل عمران، 152/3

21- نفسه، ص179، وانظر كذلك، آل عمران، 144/3

22- سيرة ابن هشام، ج 3، ص 295

23- الجزع هو الخرز، وظفار مدينة في اليمن قرب صنعاء ينسب إليها الجزع الظفاري الأسود ذو العروق البيضاء.

24- سيرة ابن هشام، ج 3، ص 296

عنّي فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعًا يطلب الناس، فلمّا طلع الرجل يقودني «**فقال أهل الإفك فيّ ما قالوا**»[25]، وقد شغلت هذه الحادثة المسلمين بالمدينة شهرًا كاملاً، حتى تدخّل الوحي ليضع حدًّا لهذه الشائعة الفظيعة[26].

خامسًا، ما أشيع حول سيرة محمّد وأخلاقه

إنّ الأمر في هذا المجال لا يمكن حصره بأيّ حال، ولكن يمكن أن نذكر بعض الأمثلة التي تحيل على ما سعى إليه شاس بن قيس مثلاً من فتنة وإشاعة بين الأوس والخزرج بعد ما رآه من ألفة حتى تواعدوا على الحرب والقتال، فلمّا بلغ الخبر النبيّ أوقف هذه المهزلة، أو ما اقترفته قريش من أخبار وما اختلقته من أكاذيب وإشاعات وما أشاعته بعد توزيع غنائم هوازن أكبر دليل على ذلك، فأذاعت أنّ محمّدا عازم على البقاء في مكّة وعدم العودة مع الأنصار، ولمّا ظهر زيف هذه الشائعة بحثت عن اختلاق خبر آخر لعلّه يحقّق لها أهدافها، وقد تمثّل في الطعن في شخصية محمّد وأمانته وأخلاقه والخدش من كرامته، إلى حدّ رميه بالجنون والكذب والسحر والكهانة، وهي كلّها افتراءات وإشاعات القصد منها النيل من ذات محمّد والحطّ من دعوته، وأنّه جمع الغنائم ووزّعها على المؤلّفة قلوبهم وحرم الأنصار منها من أجل أن يوقعوا بين النبيّ وبين الأنصار من الأوس والخزرج.

إنّ ما ذكرنا من اختلاق أخبار وافتراء مرويّات ونسج قصص وحكايات، هي عبارة عن نماذج لبعض الإشاعات التي تعكس وقع اللحظة التي عايشها النبيّ في سياقات متباينة، لكنّ السؤال الذي يُطرح: ماهي مخاطر هذه الإشاعات وتداعياتها؟ وهو ما نحاول الإجابة عنه في المرحلة القادمة من بحثنا.

2- من مخاطر هذه الإشاعات وتداعياتها

إنّ الهدف من صناعة الإشاعة وترويجها في المجتمع يتمثّل بالخصوص في إضعاف الروح المعنوية للآخر بغية انكساره وشعوره بالخيبة والسقوط، يضاف إلى ذلك بثّ الفوضى والتشكيك في كلّ عمل يُقبل عليه الفرد أو المجموعة، وهو ما يفضي إلى تفريق الصفوف وصدع المواقف وتهميش الإمكانات، ولا غرو في ذلك باعتبار الإشاعة ظاهرة نفسية واجتماعية وسياسية، والإنسان تركيبة تنوس بين القوّة والضعف والفشل والنجاح، بل هو في الغالب خُلق ضعيفًا جزوعًا «**وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا**»[27]، لذلك يتأثّر ويؤثّر وينفعل أكثر ممّا يفعل هذا على مستوى متقبّل الإشاعة، أمّا على مستوى الإشاعة في حدّ ذاتها فإنّ مناخاتها تمهّد سريانها سريان النار في الهشيم فهي «**تطير وتزحف وتتعرّج وتعدو، وهذا ما يجعلها على المستوى**

25- سيرة ابن هشام، ج 3، ص 296

26- انظر، النور، 12/24-16-17

27- النساء، 28/4

المادّي أشبه بحيوان مباغت وسريع الحركة يتعذّر أسره ولا ينتمي إلى أيّ فصيلة معروفة، أمّا تأثيرها في البشر فأشبه بالتقويم المغنطيسي وخصوصًا أنّها تغوي وتسحر وتأسر النفوس»[28]، والسيرة النبوية لم تكن أمرًا شاذًّا أو استثنائيًا عن هذه السياقات والآثار والانفعالات، ففي معركة أحد أشاع الكفّار أنّ محمّدًا قُتل وقد انعكست هذه الإشاعة على معنويات الجُند وزعزعت عزائمهم حتّى أنّ بعضهم ألقى السلاح وترك القتال، وقد استغلّ الكفّار والمشركون هذه الحادثة حتّى أخذوا يشنّون الحرب النفسية ضدّ الرسول وبعثته ورسالته وأتباعه عن طريق الإشاعات المغرضة زاعمين أنّ الإسلام قد انتهى بموت محمّد، فمن كان سندًا له قد رحل، وظلّ النّاس في اضطراب، ودبّ القلق والارتباك والقلاقل حتى حسم الموقف أبو بكّر الصدّيق من الوحي **«وَمَا مُحَمَّدُ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ»**[29].

والظاهر من خلال عدد من الإشاعات في السيرة النبوية أنّ حرص مروّجيها يتمثّل في إحداث الوقيعة بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين من يتعاملون معهم، وقد تمثّل الأمر في ما أقبل عليه شاس بن قيس من بثّ روح الفرقة وإشاعة اليأس بين الأوس والخزرج من أصحاب محمّد إلى حدّ الاقتتال أو تحريضهم عليه، وأحيانًا أخرى بنشر روح الانقسام لإشاعة جوّ من الشكّ والريبة والإحباط في الأوساط الاجتماعية، وخداع الآخر خاصة إذا كان خصمًا، بالإيحاء إليه ببعض الأخبار وتلفيق بعض المعلومات الخاطئة.

ولم ينج محمّد من هذه الإشاعات قصد الحطّ من عزائمه واستقراء مقاصده القريبة والمتوسطة والبعيدة، وإيجاد مشاعر الإحباط وزرع روح التخاذل والاستكانة باعتباره صاحب رسالة وصاحب قضية ومشروع، وذلك من خلال نسج العديد من الأخبار واختلاق الروايات ووضع القصص وافتراء المواقف بهدف تشويه سمعته وتهميش شخصيته وخدش كرامته وعرضه وشرفه ومسيرته، ونسف البعد القيمي الموصول بكيانه، وتحنيط المثل الخيرية والسجايا الكريمة من حبّ ومودّة وتعاون وإخاء وبرّ وإحسان ودماثة أخلاق يسعى النبيّ إلى تفعيلها.

ولم تكن حادثة الإفك خارجة عن هذه السياقات والأهداف والمقاصد، وهي إشاعة تهدف إلى جسّ النبض وضرب من الخداع وحرب الأعصاب، الغاية منها بثّ الخوف وزعزعة وحدة الصفّ وخلق حالة من الإرباك والفزع والذعر والشكّ والريبة في كلّ شيء من خلال استهداف المؤسسة النبوية، لذلك لمّا حدثت الحادثة وانتشرت في المدينة، تكلّم كلّ واحد وفق خلفياته وما يليق بمصالحه، ووجد عبد الله ابن أبي

28- Jean-Noël Kapferer, Rumeurs le plus vieux média du monde, éd. Du seuil, Paris, 1987, P: 9.

« La rumeur vole, rampe, serpente, couve, court, physiquement c'est un animal surprenant, véloce et insaisissable, n'appartenant à aucune famille connue. Son mode d'action sur les hommes serait proche de l'hypnose: elle fascine, subjugue, séduit, embrase ».

29- آل عمران، 144/3

بن سلول متنفّسًا في هذا الخبر فأصبح يذيعه في كلّ مكان، بهدف التشكيك في نبوّة محمّد وقذف عائشة في شرفها وعرضها واستقرارها الزوجي.

بل قد نذهب أكثر فنقول إنّ حادثة الإفك ذات صبغة سياسية من أهدافها تقويض الأمن العام في المجتمع، وخلق روح من العداء بين المهاجرين والأنصار والأوس والخزرج وفي صفوف أتباع محمّد، إذ استخدمت طعمًا لفهم ردود أفعال الآخر، خاصة عائشة وزوجها، وقد تأخذ الحادثة ثنية أخرى أخلاقية تستهدف شخصية محمّد باعتباره شخصية مفصليّة في صنع القرار والتأثير في الأحداث.

إنّ ما رصدناه من إشاعات وما وقفنا عليه من تداعيات وخيمة وآثار سلبية لهذه الأخبار الموضوعة والافتراءات المتكررة في حياة النبي وأتباعه ومسيرة الدعوة ووقع السيرة ونبض المشروع النبوي، هو في الحقيقة غيض من فيض، لأنّه يعسر علينا أن نلمّ بشبكة الإشاعات التي حيكت حول الإسلام والمسلمين وإزاء الرسول والدعوة، والذي نخرج به من هذا العنصر هو البحث في كيفية التعامل مع هذه الإشاعات، هل تعامل محمّد مع هذه الإشاعات بعدم الاكتراث واللامبالاة؟ أم واجهها بكلّ جدّية وحزم وجرأة؟ هل وضع نهجًا محكمًا بغية مقاومتها وبيان تهافتها؟ وهو ما نحاول أن نجيب عليه تباعًا.

3- منهج محمّد في التعامل مع الإشاعات

إنّ هذه المقدّمات المنهجية التي احتوى عليها بحثنا تكشف عن دور المرء في كيفية التعامل مع الخبر والانخراط في قبوله أو رفضه، وكيف يجب عليه أن يتريّث في الردّ على الإشاعات وأن ينظر إلى الخبر ويقلّبه من عدّة وجوه وأن لا يبادر بالردّ على الإشاعات بردود ارتجاليّة، بل وجب أن يحسن التأنّي والمشاورة بغية الموقف الملائم، مثلما وجب عليه تحرّي الدقّة وسلوك مسلك العقل والصدق، مع القوّة والصرامة، وهو ما يزرع الثقة ويرسّخ المصداقية، ولا ضير في إهمال الشائعات الخاملة، فليس كلّ إشاعة تستحقّ الردّ والتعليق عليها، وقد دأب محمّد على هذه الاستراتيجية ونهج هذا المنهاج في ردود أفعاله ومواقفه قولاً وفعلاً وتقريرًا، وقد تبدّى ذلك بجلاء من خلال ما تحمله السيرة النبوية من نماذج حيّة لتأريخ الإشاعات ووقعها على الفرد والمجموعة والموقف السليم والموضوعي منها، ويمكن أن نجمل استنتاجاتنا من خلال استنطاقنا لبعض مواقف النبيّ في ما يلي:

أوّلاً، الجانب القيمي

راهن محمّد - في تعامله مع الإشاعة - على البعد الأخلاقي باعتباره يصقل كيان الإنسان ويحميه من الزلل ويمكّنه من التسلّح بالعديد من القيم والمثل على غرار المحبّة والأمل وقوّة النفس وصرامة الشكيمة والتحلّي بالصبر، حتّى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وحتى يتجلّى الحقّ ويزهق الباطل، وهذا

يتطلّب التأنّي والتعقّل وأخذ القرار الحاسم في أوانه، مثلما فعل النبيّ يوم الخندق ردًّا على الإشاعات المرجفة التي يطلقها المنافقون «**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا**»[30]، فقد كان ردّ الرّسول بفتح الله ونصره «**أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك**»[31].

والذي نفهمه أنّ الإنسان مطالب بأن يتمثّل القيم الرفيعة في التعامل مع النّاس، وأن يترفّع عن تتبّع عيوب الآخرين وسوء الظنّ بهم، وهذا يقي من الوقوع في إلحاق الأذى بالناس وهتك أعراضهم والمسّ بكرامتهم من خلال تلافي إشاعة الخبر، والالتزام بنقل ما وقع التأكّد من صحّته، والتمهّل في الحكم على النّاس أو لهم، وعدم التسرّع في نشر الإشاعة أو المشاركة في إذاعتها في الناس درءًا لخلخلة المجتمع وشقّ صفّه ووحدته والتأثير في روحه المعنوية، على غرار ما أقبل عليه النبيّ يوم غزوة الخندق بعد أن بلغه أنّ بني قريظة قد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فقال «**انطلقوا حتّى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقًّا فألحنوا لي لحنًا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد النّاس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنّاس**»[32]، إنّ موقف محمّد يمثّل درسًا تربويًّا ونفسيًّا من أنجع الطرق وأحكم الوسائل لمحاربة الإشاعات ومقاومتها.

ثانيًا، المقاربة المعنوية والنفسية

قارب محمّد مقاربة معنوية ونفسية في تعامله مع الاشاعة، لأنّ الإنسان تركيبة مزجية من البعد القيمي والجانب النفسي، وهذا يوحّد صفّ المستهدفين نحو الإيجابية ومجانبة الانهزامية وتصدّع الوحدة، وهو ما يفضي إلى استثمار خطوات العدوّ بشكل منظّم هادف، وقطع الطريق عليه وعلى مخطّطه وبرامجه، ويمكن أن نلمس هذا السلوك من خلال ما أقبل عليه الرسول في حادثة الإفك، إذ تميّز بصبره وتوازنه ولم ينجرّ خلف الإشاعة، وبذلك قطع الطريق أمام مروّجيها عبد الله بن أبي بن سلول وحمنة بنت جحش وحسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة بكلّ رصانة وحكمة وتعقّل في مرحلة أولى، ثمّ في خطوة ثانية كانت محاكمتهم وعقابهم عمّا اقترفوه من إثم فجلدوا هؤلاء، باستثناء عبد الله بن أبي بن سلول، ثمانين جلدة، ولولا الثقة في النفس وقوة شخصية الرسول وعمق إيمانه وصلابة موقفه من أجل الحقّ لما كانت النتيجة على ماهي عليه.[33]

ثالثًا، عقلنة الحدث

أرسى محمّد استراتيجية عقلانية تحيل على الالتزام بالحقّ والصرامة في البحث عن الإشاعة، ودعا إلى الانضباط في احترام الآخر والتعامل معه، وحذّر من الارتجال والخفّة والتسرّع في أخذ القرار، والحكم

30- الأحزاب، 12/33
31- سيرة ابن هشام، ج3، ص 299
32- نفسه، ج 3، ص 205
33- سيرة ابن هشام، ج 3، ص 299

على النّاس أو لهم دون بصيرة وروية، مثلما حصل يوم الحديبية من إشاعة قتل عثمان بن عفان المبعوث الخاص للنبيّ محمّد، وهذا الأمر يُعدّ مخالفًا لكلّ الأعراف، ومجانبًا لكلّ القيم الإنسانية قديمها وحديثها، نظرًا إلى ما يشي به من رسائل تتمثّل في الحطّ من قيمة الرسول والمرسل والرسالة، لذلك تعامل النبيّ مع هذه الإشاعة تعاملاً جدّيًا ورصينًا من خلال ما اتخذه من إجراءات عملية تمثّلت في ما عقده من مبايعة، وهو ما يحيل على عقلنة الحدث والتعمّق في فهمه واللباقة في التعامل معه، والحنكة في أخذ القرار الذي يجب أن يكون وفق السياقات الحافّة بالخبر والإشاعة.

رابعًا، سؤال المنهج

وضع محمّد منهجية وخطّة محكمة في مواجهة الإشاعة من حيث تتبّعها في مصدرها وأغراضها وأهدافها، ولا يمكن أن يتحقّق ذلك بيسر باعتبار مروّج الإشاعة بحكم التخطيط يصرّ عادة على الوصول إلى الهدف، لذلك وجب ترصّد الظروف الملائمة لوضع الحلول المناسبة لبعض الإشاعات، وانتقاء السياقات الحافزة وتوظيفها توظيفًا سليمًا خدمة للصدّ والنقد والعمل على منع إطلاق الإشاعات أو المشاركة في نشرها، حتى لو كانت صحيحة حفاظًا على سلامة المجتمع من كلّ بلبلة وتفكّك، وهو ما دأب عليه الرسول في مختلف مراحل حياته من خلال التعامل مع أتباعه أو خصومه، ولعلّ خير مثال يحيل على سياسة النبيّ منهجيًا في التعامل مع الإشاعة عندما أعلمه زيد بن أرقم مقالة عبد الله بن أبي بن سلول، وكان عند النبيّ عمر بن الخطّاب فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال النبيّ: «**فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أنّ محمّدًا يقتل أصحابه، لا ولكن أذّن بالرحيل**»[34]، ولم يكن من عادة محمّد أن يرتحل في مثل هذا الموعد، ولكنّه ارتأى أن يتّخذ قرارًا سريعًا حاسمًا تفاديًا لوقوع الفتنة بين المهاجرين والأنصار فيحقّق لعبد الله بن أبي بن سلول زعيم معارضي المدينة بغيته ويمكّنه من بلوغ هدفه. إنّ العمل الذي أقدم عليه النبيّ لم يكن صدفةً أو عبثًا أو اعتباطيًا بل إنّه يخضع لرؤية ومنهجية وطريقة في التعامل مع الحدث.

خامسًا، البناء الروحي

راهن محمّد على الجانب الروحي والوجداني في بناء شخصية أتباعه، حتى لا يكون الواحد منهم لقمة سائغة في يد الآخر، ولا يكون ذلك إلاّ بالإيمان القوي والمتين الذي لا يمكن زعزعته، وهذا الإيمان لا يكون كذلك إلاّ إذا كانت علاقة أتباعه متشبّعة بالمقدّس وأصوله حتى يفوق كلّ التأثيرات والعلائق الأخرى، ولعلّ هذا من أبرز الأسباب التي تجعل المسلمين صفًا واحدًا كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا، ممّا يسهّل كشف مخطّطات مروّجي الإشاعة والسرعة في مواجهتهم ومحاكمتهم بكلّ موضوعية وعلمية، وقد تدخّل المقدّس أحيانًا كثيرة وبصورة خاصة الوحي بغية الإرشاد والحلّ والنهي والوعظ أو الترغيب والترهيب والوعد

34- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، القاهرة، 2001، ج 22، ص 668

والعيد، فقد أنزل الله مثلاً ستّ عشرة آية من سورة النور[35] برّأ فيها عائشة ممّا أشاعه الخصوم والمنافقون من إشاعات وافتراءات.

إنّ هذه المقاربات المنهجية التي أشرنا إليها هي عبارة عن عيّنات تحيل على أنّ محمّدًا اجتهد وفق المقامات وحسب السياقات وطبقًا للأحداث التي اعترضته، وهي نماذج يمكن أن نستخلص منها العديد من العبر والدروس التي نستثمرها في لحظتنا الراهنة ونعود إليها للعظة والوقاية والاستفادة.

4- الدروس والعبر المستفادة

ليس من قصدنا في هذا المقام أن نلمّ بكلّ شاردة وواردة، وأن نأتي على كلّ المواعظ والدروس والعبر التي وجب أن نقتدي بها، ولكن يكفينا أن ننبّه إلى بعض منها حيث أنّنا وإن أشرنا إلى تاريخية هذه الإشاعات في السيرة النبوية ودلالاتها ومنهاج النبيّ في التعامل معها، فإنّ ما يهمّنا فيها في هذه المرحلة من البحث هو ما تضمّنته من مواقف ومبادئ وعبر، وترتيبًا على ذلك انتهينا إلى:

أوّلاً، إنّ الإشاعة ضاربة جذورها في التاريخ، وهي قديمة قدم الإنسان، وأنّ محمّدًا هو إنسان قبل كلّ شيء يتعرّض لكلّ ما يمكن أن يتعرّض له أيّ إنسان، بيد أنّ الفرق يكمن في أنّ الرسول لم ينجرّ خلف الإشاعة ولم يتسرّع في إصدار الأحكام أو الحكم على الناس، ولم يسع إلى تتبّع عيوبهم وإساءة الظنّ بهم، بل أسّس منهاج القدوة والاحتذاء، وقنّن دروسًا تربوية ونفسية وإنسانية في طرائق التعامل مع النّاس ومع مروّجي الإشاعات بصورة خاصّة، تعكس قيمة التعقّل وأهمية الرصانة في تقبّل الخبر وكيفية الردّ عليه أو نقده أو تصحيحه أو عدم الاكتراث به أحيانًا.

ثانيًا، إذا كانت العزائم صادقة وأرادت أن تتصدّى للإشاعة من حيث مقاومتها وتجاوزها، فوجب على الفرد والمجموعة والمجتمع المدني والدول وكلّ المؤسسات بمختلف اختصاصاتها أن تعمل على نشر الحقائق بكلّ شفافية، وأن تكون قريبة جدًّا من مصدر الخبر الرسمي، وأن تسعى جاهدة إلى تصحيح المعلومات الخاطئة والأخبار المختلقة التي يوظّفها مروّج الإشاعة مادّة لإشاعته بين الناس.

ثالثًا، تحديث كلّ المؤسسات الفاعلة في المجتمع حتى يكون الفرد مواكبًا لنبض الشارع ووقع اللحظة التاريخية التي يعيشها، على غرار تحديث الخطاب الديني في ترشيد الناس وتوعيتهم في هذا المجال حتى ينفتحوا على كلّ التحديات الراهنة ويستشرفوا المستقبل وينتبهوا إلى كلام صنّاع الإشاعات وما يترتب على ذلك من مخاطر وإكراهات وتداعيات، وكذا الأمر بالنسبة إلى مؤسسة الأسرة من حيث التربية والرعاية ومراقبة الطفل في التعامل مع الخبر صدقًا وكذبًا، ولا يستقيم هذا الأمر إلاّ إذا اضطلعت المؤسسة

35- انظر، النور، 12/24 وما بعدها.

التعليمية بواجبها من حيث التربية والتعليم والدربة بغية المحافظة على سلامة المجتمع من مخاطر الإشاعة وشرورها، وذلك بعدم التساهل في نقل الأخبار وروايتها دون مسانيد دقيقة وصارمة، ولا يتسنّى لنا ذلك إلاّ بتوعية النشء والشباب وطلاّب الجامعات من خلال بيان مخاطر الإشاعات وما يترتّب عليها من تداعيات ونتائج وخيمة على الفرد والأسرة والمجتمع والأمن العامّ، وذلك مثلاً بإدراج نصوص تشرح ظاهرة الإشاعة وتفسّر مخاطرها في البرامج الرسمية ومن خلال تكثيف زيارات الخبراء والاختصاصيين في مجال علم النفس والعلوم الاجتماعية وعلوم التربية وحقول التواصل والإعلام، حتى يتعلّم النشء كيفيّة التعامل مع الإشاعات، وسبل مقاومتها، وكيفية الكشف عن مخاطرها ومضارها على الفرد والمجتمع.

رابعًا، مادامت الإشاعة ظاهرة حتمية تنجم عن البيئة الاجتماعية والعلاقات المنظمة للسلطة، ووفق ذلك يتشكّل عدد الشائعات ومحتواها ومضامينها مقياسًا فاعلاً للضغوط في بيئة العمل، [36] فإنّه يجب علينا دينيًا وأخلاقيًا وأدبيًا ووطنيًا أن نتثبّت من الخبر وأن نتحرّى في قبوله[37]، ألم يقل محمّد «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكلّ ما سمع**»[38]، إذن فنحن مطالبون بأن نُخضع ما نسمع لمصفاة العقل والغربلة ومقاييس الموضوعية وضوابط الآداب والسلوك، وموازين التعامل مع الخبر من نقد وتدقيق ومراجعة.

خامسًا، وجب تفعيل دور الدول والمنظمات الدولية والحقوقية في الاضطلاع بمهامها وتحمّل مسؤولياتها التاريخية، وذلك مثلاً من خلال بعث خلية أكاديمية إعلامية إقليميًا وعربيًا وإسلاميًا وعالميًا في شكل شبكات متعاونة، تضمّ العديد من الخبراء والاختصاصيين، بغية متابعة الإشاعات وتحليلها ودراستها والنظر في أهدافها ومقاصدها، والبتّ في نتائجها والكشف عن مروّجيها وتعرية مخططاتهم وفضح نواياهم ومقاصدهم.

إنّ ما نقف عليه في لحظتنا التاريخية من تنامي الثورة الرقمية والوسائل الإعلامية من أنترنت وملتيميديا وهاتف محمول ومختلف التقنيات ووسائل الاتصال والشبكات المعلوماتية والحملات الإعلامية والندوات الصحفية هنا وهناك لجدير بالدرس واليقظة، لأنّها تنخرط أحيانًا في نشر الإشاعات المغرضة التي تقضي على بناء المجتمع، وتدنّس هويته ومرجعياته ومُثُله وثوابته وقيمه من خلال الإرهاب النفسي والتحطيم المعنوي والعنف الجسدي والتخويف والتهويل وتضخيم الأحداث حينًا أو تهوينها أحيانًا إلى حدّ السذاجة والبساطة والسطحية، فتصيب عصب الأمّة من إثارة القبلية والطائفية والمذهبية والعصبية، وهذا يورث

36- Pour en savoir plus, voir: Davis.K, Care and cultivation of the corporate Grapevine, traduit de l'anglais par Jean-Noël Kapferer, Management Review, 1973, P: 53-55.

« Les rumeurs sont inéluctables, elles sont le produit de la structure sociale et des relations de pouvoir. Le nombre et le contenu des rumeurs sont un excellent baromètre de l'atmosphère ».

37- انظر، الحجرات، 6/49

38- مسلم (الحافظ أبو الحسين بن الحجّاج القشيري) صحيح مسلم، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006، باب النهي عن الحديث بكلّ ما سمع، مقدّمة الكتاب، ص 5

القلق والرعب والفتن والحروب، وإثارة البلبلة بين الناس لاسيّما في أوقات الأزمات، ولعلّ ذلك يصبح أكثر بشاعةً عندما تنعكس هذه الشائعات على الرأي العام وصنّاع القرار في العالم، فيصبح الأصل فرعًا والفرع أصلاً، وتصبح الحقيقة وهمًا والوهم حقًا، وتنقلب الإشاعة إلى مصدر مؤسس ومقنّن، ويصبح الخبر اليقيني ثانويًا هامشيًا حافًا من الحواف.

وإذا كانت الدول مقصّرة في النهوض بمسؤولياتها في هذا المجال من خلال عدم كشف هذه الإشاعات في بياناتها السياسية الرسمية، فإنّ المؤسسة الإعلامية لا يقلّ تقصيرها عن تقصير الدولة، لذلك هي مدعوة بل مطالبة وطنيًا ودينيًا ومهنيًا إلى مقاومة هذه الظاهرة من خلال تقديم الأخبار الصحيحة بشكل مستمرّ، وتجنّب التعتيم الإعلامي وأدلجته، وفسح المجال أمام المواطن للتعبير عن آرائه وأفكاره ومواقفه ونقوده، وتجنّب ترديد الإشاعات من خلال وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة بهدف تكذيبها، لأنّ تكرار الأخبار واجترارها يكسبها مصداقية أحيانًا من خلال ترسّخها في العقل الباطني، والأفضل من ذلك هو تعرية الخبر والبحث في مصادره وأهدافه ومموّليه.

من قبيل الخاتمة

أفضى بنا هذا التمشّي المنهجي والإبستيمي في بحثنا إلى أنّ بنية الإشاعة هي تركيبة متداخلة تكرّس الأبعاد التواصلية والنشاط العلائقي، وحتى تحقّق فعلاً أطروحاتها وأهدافها يقتضي الأمر أن تلتزم بمجموعة من الدوال التي سعينا إلى دراستها، ويمكن أن نمثّل عليها من خلال ما جاء في سورة الحجرات «**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**»[39]، بالرجوع إلى هذا السند يمكن أن نستشفّ منه ثلاث كلمات مفاتيح هي: فاسق/نبأ/تبيّنوا، وبناءً على هذه المفاهيم وقفنا على أنّ مرتكزات الإشاعة هي ثلاثة:

أوّلاً المرسل، وهو مصدر الخبر ومروّج الإشاعة ومموّلها، والباثّ الذي ينجز مضامينها شفويًا أو كتابيًا أو رمزيًا أو تسويقًا من خلال الصورة إلى من يتوجّه إليه بالخطاب، ولعلّ كلمة الفاسق بما تشي به من معان في هذا السند تحيل على هذه المفاهيم وغيرها، وبناء على ذلك فالفاسق قد يكون الكاذب والمفتري، أو هو الذي يختلق الخبر ويعمد إلى إذاعته في الناس.

إنّ مرحلة الإبلاغ لها غاياتها وأهدافها واستراتيجيتها فقد تكون عفوية، مثلما تكون قصدية ترنو إلى تحقيق أغراض معينة، لكن هذا لا ينفي أنّه من المحتمل أن تحمل الإشاعة جزءًا من الحقيقة أو رسالة إنسانية أو أخلاقية، وقد يكون الهدف من نشرها تأييدًا لأمر ما أو معارضته أو قد تكون محايدة.

39- الحجرات، 6/49

إنّ ما أشاعه النبيّ من إيهام الآخرين بشيء وهو يقصد شيئًا آخر - على غرار إخفاء مقصده في فتح مكّة - يدل على مكر المرسل وخداعه، وقد تمثل ذلك في بعث سرية صغيرة على رأسها أبو قتادة بن ربعي الأنصاري في أوّل رمضان من السنة الثامنة للهجرة إلى بطن إضم[40]، ليشيع محمّد بين الناس أنّ وجهته ستكون إلى تلك الجهة وينشر خبر ذلك لعلّه يصل إلى قريش في مكّة، وفي العاشر من رمضان خرج في جيشه إلى فتح مكّة[41].

ثانيًا رسالة الإشاعة، وهي متن الخطاب والمعلومات الإخبارية المتبادلة، والنبأ الوارد بمختلف منعرجاته النفسية وخلفياته الإيديولوجية، وهي مقامات تبرّر لنا نجاح الإشاعة أو إخفاقها، لذلك فإنّ متنها يتغير بتغيّر السياقات وتبعًا للمصلحة المقصودة ووفقاً للأهداف المنشودة، لكن هذا المضمون لا يكتب له النجاح إلاّ بشرطين أساسيين «**الشرط الأوّل ينحصر في أنّ موضوع الإشاعة ينبغي أن ينطوي على شيء من الأهمية بالنسبة للمتحدّث وللمستمع، أمّا الشرط الثاني فينحصر في أنّ الوقائع الحقيقية ينبغي أن تتّسم بشيء من الغموض**»[42].

ثالثًا المتقبّل، وهو المرسل إليه الخبر الذي قد يعمد إلى صياغته من جديد ليصبح أكثر منطقية ثمّ العمل على نشره، ونعتقد أنّ شكل التلقي لا يجانب الحالات الثلاث التالية: إمّا أن يكون تلقّيًا نقديًا ينهض على تحليل الخبر وتقليبه وتفكيكه تفكيكًا منهجيًا وعلميًا، فساعتها يكون للمتقبّل الموقف الواضح من الرواية قولاً أو صورةً أو رمزًا أو كلمةً، أو تلقيًا عاطفيًا من باب إشباع الرغبات النفسية والعاطفية أو الإيديولوجية، ذلك أنّ مضمون الإشاعة قد يشبع عاطفة أو رغبة أو انفعالاً أو حاجة نفسية، أو تلقّيًا محايدًا تغلب عليه البرودة في التعامل مع الخبر.

ويبدو أنّ ما أقبل عليه محمّد في تعامله مع واقعة الإفك التي بدأت تسري بين الناس، يترجم لنا مثالًا حضاريًا للمتقبّل على الرغم من العداء من عبد الله بن أبي بن سلول الذي قال «**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ**»[43]، وعلى الرغم من هذا الموقف العدائي جاء في تفسير الطبري أنّ الرسول مشى «**بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح [...] وإنّما فعل ذلك رسول الله ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي**»[44].

40- انظر، الزهري (محمّد بن سعد بن منيع) الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمّد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2001، ج 2، ص 123. وهم بنو ذي خشب وذي المروة وبينهما وبين المدينة ثلاثة بُرد.

41- انظر، الطبقات الكبرى، ج2، ص ص 123-124

42- عويضة (كامل محمّد) علم نفس الإشاعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص 57

43- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 22، ص 663

44- جامع البيان عن تأويل آيالقرآن، ج 22، ص ص 668-669

ونقول إنّ التدقيق في مضامين الإشاعة ومتنها، وما يحمل الخبر طيّه من أفكار ومقاربات يُعدّ أمرًا واجبًا حتى نقف على مدى تداعيات الإشاعة على أمن الفرد والمجموعة والدولة، لأنّ تبادل الأخبار والمنقولات دون تدقيق وتوثيق وتروّ وتعقّل يفضي إلى كثرة القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة حال المجتمع في أشياء لا تنفع ولا تفيد، بل لعلّ هذا السلوك المتسرّع في التعامل مع الخبر يفضي إلى وهن المجتمع وتفكّكه ويضعف العلاقات ويوغر الصدور ويورث العداء والانحرافات السلوكية والتفكير المعوجّ، فكم من أناس ظلموا في حقوقهم وشرفهم وملكيتهم وأعراضهم بسبب التسرّع في نقل الأخبار وإذاعتها دون تحرّ وتثبّت وتدبّر «**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**»[45]، وجاء في الحديث «**أيّما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء، يشينه بها في الدنيا كان حقًّا على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال**»[46]، وعلى أيّ حال هذه جملة من المقاربات والأفكار وددنا أن نسهم بها في هذا البحث، وتبقى الإشكالية تحتاج إلى مزيد من الدراسات الجادّة التي تتوافر لها الشروط الجيّدة في القياس والتطبيق.

45- الإسراء، 36/17

46- المنذري (الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي) الترغيب والترهيب، تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني وأبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003، حديث 2696، أخرجه أبو الدرداء.

المصادر والمراجع*

I- العربية

1- **زهران** (حامد عبد السلام) علم النفس الاجتماعي، ط6، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2003

2- **الزهري** (محمّد بن سعد بن منيع) الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمّد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2001

3- **الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، القاهرة، 2001

4- **طنطاوي** (محمّد سيّد) الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2001

5- **عويضة** (كامل محمّد) علم نفس الإشاعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996

6- **ابن فارس** (أبو الحسن أحمد) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون وضبطه، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1979

7- **مسلم** (الحافظ أبو الحسين بن الحجّاج القشيري) صحيح مسلم، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006

8- **المنذري** (الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي) الترغيب والترهيب، تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني وأبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003.

9- **ابن منظور** (جمال الدّين أبو الفضل) لسان العرب، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، [د.ت]

10- **النويري** (شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004

11- **ابن هشام** (أبو محمّد عبد الملك) سيرة النبيّ، تحقيق مجدي فتحي السيّد وفتحي أنور الدابولي، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

II- الأجنبية

12- Allport.G.W, Postman, An analysis of Rumor, public opinion quarterly, traduit de l'anglais par Jean-Noël Kapferer, 1946-1947.

13- Davis, Care and cultivation of the corporate grapevine, traduit de l'anglais par Jean-Noël Kapferer, Management Review, 1973.

14- Jean-Noël Kapferer, Rumeurs le plus vieux média du monde, éd. Du seuil, Paris, 1987.

15- Paul Watt Zlawick, la réalité de la réalité, confusion, désinformation, communication, traduit de l'anglais par Edgar Roskis, Ed. Du Seuil, Paris, 1978.

* رتبنا هذه المصادر والمراجع ترتيبًا ألفبائيًا دون اعتبار (ال) التعريف و(ابن).

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2016

جميع الحقوق محفوظة © 2016